

استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام للآنسة فتحية عزمى

قنهضة المرأة الحق في مصر لم تكن إلا وليدة الثورة ، وكل ما قام قبل هذا التاريخ لترقية مستواها لم يكن إلا محاولات ضئيلة لا تكاد تذكر الى جانب تلك العفورة الهائلة التي قذفتها اليها الثورة ، وهنا يحق لنا أن نحكي الرأس في هذا المقام اجلالا لذكري زعيمنا الخالد الذي تفجر من فيض وطنيته ما تنم فيه الآن من نهضات عمت مرافقتنا الحيوية ، ثم نحكي في جنبانه الهامد الوطنية الصحيحة والوجدان الحلي والتضحية القادحة والعمل الخالد المقيم . . .

وأخذت بعد ذلك نهضة المرأة المصرية تدير سيرها الخثيث نحو التقدم المنشود ففتحت أمامها موارد العلم تقترف ما شادت حتى صارت الى ما هي عليه الآن من رقي وثقافة يكادان أن يضعاها في مستوى زميلتها الغربية ، ولكن هل آتت هذه النهضة أكلها حقا ؟ وماذا كان أثر هذه النهضة في الحياة العامة ؟ ؟

لا يسع كل منصف إلا أن يحكم معنا أن تعليم المرأة لدينا قد باع شوطاً بعيداً وخاصة في الأهموم القلائل الأخيرة ، فإنا الآن الأدبيات والطبيبات والمحقوقيات وغيرهن ممن نلن من الثقافة المالية نصيباً وافراً ، ولكن العمل الرئيسي الذي خلقت له المرأة يؤول اليوم بتدريجها الى الاهمال ، فلتشؤون النزلية وتربية الأولاد واعدادهم للحياة الصحيحة ثم تفهم الحياة الزوجية ودرسها درساً وافياً ، كل ذلك أضحي في نظر سيداتنا وخاصة المتفقات منهن شيئاً ثانوياً أولى منه اتقان أدوات الرينة والجري وراء الأزياء الحديثة حتى أصبحنا في خشية من انطباق قول الآنسة دى سكودزاي علينا : « ان فتاة تنسى النظر الى السماء لا تحسن شيئاً على الأرض ١١ »

« إن النساء أئبن العالم لعمل الحساء وإنسال الأولاد وماعدا هذا فأنهن يظهرن بمظهر مزيج » كلمة صريرة قالها مولير عن المرأة ، وهي وإن كانت تهكاً لاذفا كاد صاحبها يخرج بها الى حد المبالاة ، أو جاوزها فملا ، إلا أن فيه إشارة الى الوظيفة الأولى للمرأة التي أشرنا اليها من قبل . وانه خليق بالمرأة المصرية وقد ضربت في الثقافة العامة بسهم وافر أن تضع نصب عينها الرسالة التي أوجدتها الطبيعة من أجلها وتؤديها على أتمها خالصة في سبيل الله والواجب ، ومن ثم تضرب في خضم الحياة العملية ما شاء لها الفكر الوقاد على ضوء الخبرة والمعرفة . أما أن

كانت نهضة المرأة في مصر إحدى نماذج الثورة الوطنية للباركة التي انبجست من قلوب أبنائها البررة عام ١٩١٩ ؟ وإذا كانت الثورات التي حدثنا عنها التاريخ قد أفادت العالم من كل نواحيه ، وخلقت روحاً جديداً من الطور في كل مرافقه ، فإن مصر هي الأخرى قد جذت من وراء ثورتها الفتية نهضة مباركة بدأ أثرها جلياً في السنين الأخيرة في الأدب والفنون والعلوم والاقتصاد والسياسة . وكان من أبرز هذه المظاهر وأروعها خروج المرأة المصرية من معقل التقاليد المتبعة الرذولة الى الحياة العملية الصحيحة بعد الجهل الخيم والخرود الطويل . . .

لقد مضى على المرأة المصرية حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً حتى نفخ الزعيم الخالد « سعد » العظيم في صور الثورة قلبت مع اللبين ، وترامت في ميدان الجهاد مع الترامين ، فرأينا كيف يجتذب صوت الداعي الأخاذ النقاذ خدود العذارى والسيدات الى حيث النداء والتضحية ، وكيف أن المرأة المصرية الحمية الساذجة قد ألقت عنها خمارها لتجابه بوجهها الحديد والنار في جانب الرجل ، تشد عضده بمظهرها الحماسي الجريء ، وتبث في نفسه روح البسالة والاندام ، فيسارع الى الموت باسملاً لا ينكص ولا يتزعزع ، وهكذا سجل التاريخ للمصرية في ذيك العام المجيد صفحة نفاذ سبق خالدة مادامت مصر وما دامت الوطنية والحريية ، كما سجل للمرأة البدوية وراء الأجيال الصحيحة يوم تبعت رجالها في الحروب تؤازره وتشجمه وتنشد خلفه أمائيد الحماسة والنصر فيستند ساعده ويثبت جنبانه فلا يتجلجل ولا يتحلجل إلا الى نصر محقق حيث يعود اليها ضمهواً بكليل الظفر ، أو الى قبر في القفلة مؤججت حيث الشرف كل الشرف والخلود كل الخلود . . .

تعرفنا العصرية دون تقويم الأساس وتمكينه فهذا ما لا يقره سليم ولا تبيحه نفس الطبيعة التي فطرت كل شيء لفرض سمين وهيأة لرسالة محدودة

في يقيني أن خير استثمار المرأة المصرية للخير العام ينحصر في شيء واحد وهو : تشييد صرح حياتنا الاجتماعية على أساس مكين ونظام متقن ؛ وإذا كانت نهضة المرأة عندما تد قامت على تعليمها فأحرر بنا أن نستغل هذا التسليم لتمهيد سبيل السعادة لأزواجنا ومعاونتهم على العيش ، ثم تدبير بيوتنا وتثقيف أولادنا ثقافة أخلاقية وعلمية ووطنية ليشبوا رجالا بكل ما في هذه الكلمة من معنى سام جليل ؛ ومتى تركزت حياتنا الاجتماعية على هذه الأسس الوطيدة صلحت حياتنا العامة وأعدنا للوطن أشبالا نفذوا بلبان الوطنية واهتدوا بهدى الدم الى سواء السبيل صدقوني أما لسنا بحاجة إلى المرأة المثقفة المالية بقدر حاجتنا الى الأم الصالحة أو « المدرسة الأولى » كما نمتها الكتاب والشراء قديما ، وهامى في البلاد ثمن من أقصاها الى أقصاها . إن كابوس البطالة الذي يجثم على أنفاسها ويزداد هولاً يوماً بـيوم يطراد زيادة عدد المتعلمين الذين تلفظهم المدارس كل عام لمواجهة الحياة العملية حتى ضاقت بهم سبلها وغصت بهم على رحبها ، وهذا الجيش الجرار من شباب الأمة المتعلم العاطل أولى منا نحن معشر النساء المثقفات بالعمل ، فبماذا يمكن إذا استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام ؟؟

ليس هناك سوى رد واحد على هذا السؤال ، هو ما قلته ، وهو أن خير طريقة لهذا الاستثمار هو الاستثمار الاجتماعي المتنوع الذي ذكرت لا الاستثمار المادي كما يمكن أن يفهم من كلمة « الاستثمار » وذلك لأن هذا الاستثمار المادي الأخير نحن في غنى عنه بما لدينا من أيدٍ عاطلة عديدة أحق بالتشغيل من جهة ، وهذا ذلك فإن استثمار نهضة المرأة المصرية اجتماعياً يركز حياتنا العامة ويسيرها في طريق التطور المرجو غير بطيئة ولا وجلة

ويبدو لنا من أخبار القرب التي يحملها الينا البريد الأوربي الأخير من أن العالم قد بدأ يحس مدى خطئته في قصر تعليم المرأة على ثقافتها فحسب دون العناية بالفرض الأساسي الذي خلقت له ؛ فهذه الآن فرنسا تحارب فكرة إعطاء الحقوق السياسية للنساء ومساواتهن بالرجال ؛ وهما نحن أولاء نرى ألمانيا وإيطاليا تضمان في جملة أنظمتها الجديدة أن تعود المرأة إلى صالغ

عصرها من التزام البيوت والقيام على تربية الأطفال ، ومنها ما أمكن من تصاطي أعمال الرجال . وقد قرأنا للأستاذ محمد كرد مخلصاً لكتاب ظهر أخيراً في فرنسا حول هذا الصدد للدكتور روبرتوش بدأه بكلام لثلاثة من مشاهير الكتاب أحدهم تيودور جوران قال : « إن رفعة المرأة بولية صدرت الينا من البلاد الأجنبية ولا سيما من أمريكا وجرمانيا وبلاد النبال ، وكان هذا النفوذ لنا من كل غريب يكفى أن يكون منه نتاج قد يتلاءم كثيراً مع تركم الفرنسي » وقال روبر كيبيو : « من السهل الدلالة على أن دعوى بشأن المرأة كانت أبدأ وليدة المذهب الاشتراكي فاما ترانا نسا فيها على أفكار اشتراكية بسببها ، وعلى معان لهم وتغيرات ، وكلمات ما برج الاشتراكيون يرددونها مع سفطات كاذب ولا تزال سالوفة لهم ، وما المرأة إلا أهدى عدو لرفعة شأنها ، فموقفنا بأنها تخسر من نفوذها الخاص أربعة أضعاف ما تربحه من نفوذها العام ، ولا يتأني مما ترى اليه إدخال أدنى إصلاح النظام الاجتماعي » وقال الثالث تينابر « إن حقوق النساء وتجربتها الأولى هذا حمن وجليل ، ولكن يا سيداتي حررن أنفسنا أولاً من الخياطة ، فان لم تكن لكن هذه الشجاعة فلا تطالم إلى أن تحصن على ما بقى » وقد استعرض المؤلف في كتابه نهضة المرأة منذ نشأتها إلى اليوم وحللها تحليلاً دقيقاً كآب عليها عنايتنا بثقافتها دون الفرض الرئيسي الذي هيأنا له الطبيعة . من هنا نرى أن أعرق الأمم التربيته في النهضة النسوية قد بدأت تحسب مدى خطئها في توجيه المرأة إلى غير ما خلقت له ولم يعد بين هاته الدر من أختها هذه المدنية الطافية من جادة الطريق سوى تركم الحديثة التي خالت أنه لم يبق بينها وبين مساواة العالم التمدد سوى هذه القلطة الاجتماعية النسائية نأبت إلا أن تشرم الكأس حتى الثمالة ، وما أشك أنها ستجني ثمرة هذا التقليل الأعمى علقا وسابا كما جنته براقش

قدر لرجلك قبل الخطو موضهما

فن علا جيلاً عن غرة زلم

ولنتدبر نحن في المستقبل قبل أن نخطو اليه ، ولنتبين من أي طريق تمسوق المدنية الضرور ، ولنتسمع صوت الطبيعة النضوب تصرخ في وجوهنا : لقد خلقت المرأة لتكون نظام الأسر وتكمل الشطر الثاني من حياة الرجل ، وتقدم له وللعالم كأس السعادة مترعة هنية ، فلا يخلبكم بريق المدنية الخادع الكاذب